

(حنبعل - Hannabal) ومعركة (كاناي - Cannae)

02 أوت 216 ق.م

الاستاذ : بن عبد المومن محمد

جامعة وهران- الجزائر

في غياب المصادر الأدبية الخاصة بالتاريخ البوني التي ضاعت إثر الخراب والوحشية الرومانية التي لحقت بقرطاجة سنة 146 ق.م¹، يجد الباحث نفسه أمام خيار لا مفرّ منه، فلا يجد بين يديه سوى ما خلفه الكتاب اليونانيون والرومان، نتيجة العلاقة التي كانت تربط هذه الشعوب بقرطاجة، إلى جانب العامل الجغرافي، وإشرافهم على حوض البحر الأبيض المتوسط الذي لعب دورا في رسم معالم تاريخ قرطاجة مع هذه الشعوب التي كانت يوما ما منافسة لها.

والملاحظ أن غالبية هذه المصادر لم تعاصر الأحداث الخاصة بتاريخ قرطاجة، ولا يوجد بين أيدينا أي نص عاصر حروب حنبعل ضد الرومان، وبالأخص معركة (كاناي Cannae) الموضوع الأساسي لبحثنا، فأقرب نص يعود تاريخه لخمسين سنة بعد تاريخ المعركة للمؤرخ الإغريقي (بوليبوس Polybius)، ومعرفة هذا الأخير بتفاصيل المعركة لم تكن بالطريقة المباشرة، وبعد قرن من الزمن وردت تصورات عن المعركة من طرف (شيشرون Ciceron)، و(كورنوليوس نيبوس Cornelius Népos)، و(تيت ليف Tite Live)² مما ترتّب عن كتاباتهم التحريف، والانحياز، الذي نتجت عنها المغالطات، والأحكام المسبقة.

بالرغم من كل ذلك لم يستطع هؤلاء الكتاب القدامى التسنّر في كتاباتهم عن انتصارات (حنبعل)، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الروماني (بلين الكبير Pline L'ancien) أن معركة (تريبيا Trebia) التي اندلعت في أواخر ديسمبر 218 ق.م، ومعركة (تراسيمينوس Trasimenus) في افريل 217 ق.م، ومعركة (كاناي Cannae) المشهورة باسم معركة التطويق التي اندلعت يوم 02 أوت 216 ق.م، كلها كانت بمثابة "إقبار لكلمة رومان"، مما يدل على هول الفاجعة التي أصابت الرومان على يد القائد القرطاجي

(حنبعل - Hannabal) ومعركة (كاناي - Cannae)

02 أوت 216 ق.م

(حنبعل)، ولو افترضنا أن المنتصر هو الذي أزعج للحدث كيف يكون وصفه لهذه المعارك؟

إن المعلومات الواردة عن تاريخه العسكري ومواجهاته للرومان لا يمكن اعتبارها إلا فصلا من بين الفصول المفقودة من تاريخ المواجهات القرطاجية الرومانية، فالبحت الأثري بمناطق النفوذ القرطاجي، أو بالمناطق التي شهدت المعارك مع الرومان، أو تلك التي كانت مناطق عبور لقواته نحو إيطاليا عبر جبال الألب، إلى جانب الدراسات الحديثة الموضوعية هي إحدى السبل الناجعة لتخليص تاريخ قرطاجنة عامة، وتاريخ القائد (حنبعل) خاصة من الشوائب، والمغالطات التاريخية.

اشتهرت قرطاجنة بقوتها البحرية، واستطاعت بأسطولها البحري العسكري، والتجاري الهيمنة على الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط، كما امتلكت جيشا برياً خاض معاركاً ضدّ العدو اليوناني، ولعلّ أبرزها تلك التي قادها (حنبعل) ضد الرومان، واستطاع إلحاق أضراراً مادية كبيرة بهم، وأخرى معنوية، جزاء انتصاراته بالأراضي الإيطالية، وعبر عن ذلك المؤرخون القدامى تارة بالانكسار والكارثة، وتارة أخرى بنهاية كل شعب روما، نجد (شيشرون Ciceron)⁴ الذي استعمل عبارة "الكارثة" عند إشارته لمعركة (كاناي Cannae)، وحول نتائج نفس المعركة أشار (فلوريس Florus) أن يوم هذه المعركة هو آخر أيام روما⁵، و ذكر (سيلوس إيتاليكوس⁶ Silius Italicus) في أشعاره بطولات (حنبعل)، ووصفه "بالدموي"، ويمكن استخلاص من نص (تيت ليف Tite Live) ذلك اليأس الذي خيم على النفوس بروما إلى درجة تفكير مجموعة من الشباب النبلاء بزعمامة (ماركوس كوايسيليوس متولوس Marcus Caecilius Metellus) في التخلي عن إيطاليا عبر البحر، وطلب اللجوء لدى أحد الملوك⁷.

معارك (حنبعل) وانتصاراته بإيطاليا:

ارتبطت الحرب البونوية الثانية (218-201 ق.م) باسم القائد القرطاجي حنبعل، فهو الذي قرّرها، وحدّد معاركها، خاصة تلك التي خاضها بإيطاليا بعد عبوره جبال الألب، ومن أهم مواجهاته ضد الرومان مجموعة من المعارك دخلت حوليات الفن العسكري، وأصبحت مادة تدرس في المدارس العسكرية، ومن أشهر المعارك التي خاضها ضد الرومان بإيطاليا نذكر منها خاصة معركة (تراسيمنوس)، و(كاناي) اللتان سأتناولهما كنماذج للدراسة.

1- معركة تراسيمنوس 21 جوان 217 ق.م:

تعرف باسم معركة بحيرة (تراسيمنوس) التي جرّ فيها (حنبل) القنصل الروماني (فلامينيوس) إلى مصيدة سبقها عدّة مناورات، وأهمه من خلالها أنه يتجه نحو روما، ليغير وجهته إلى ممر (بورغيتو Borghetto) الواقع بين جبال (غوالندرو Gualandro) وبحيرة(تراسيمنوس)، وعند مرور الجيش الروماني عبر هذا الممر، وقعوا في الفخ⁸، مثلما أشار إلى ذلك (بوليب)⁹، و(تيت ليف)¹⁰، فهاجمهم (حنبل) من كل جهة، فكانت فرق المشاة الخفيفة تحاصرهم عند منحدرات الجبال المحيطة بالبحيرة من جهة الشمال، وفرق الخيالة عند نهاية الممر، وبالتالي أغلقت عليهم المنافذ من كل جانب¹¹، وخلال ثلاثة ساعات أغرق منهم 15000، وأسر 10000 روماني¹²، لم تسلم من المكيدة سوى الفرقة الرومانية المكوّنة من 6000 جندي، التي اختبئ جنودها بمنطقة قريبة من بحيرة (بليستيا Plestia)، ليقعوا فيما بعد أسرى على يد (مهربل Maharbal) الذي كلّف لمتابعتهم¹³.

2- معركة (كاناي) 02 أوت 216 ق.م:

وردت إلينا أخبار هذه المعركة ضمن مؤلفات كل من (بوليب) الذي أنجزه مع منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، و(تيت ليف) الذي يعود مؤلفه مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، ويستخلص من الأول أهمية معركة(كاناي)، والأعداد المجنّدة التي لم يسبق لها مثيل، وأنّ روما قد خسرت جزّائها قيمتها القتالية، في حين يستخلص من كتابات (تيت ليف) أنه استقى أخبارها من كتابات (بوليب)¹⁴.

أحداث المعركة:

بعد قرار مجلس الشعب الروماني المتمثل في إرسال قوات عسكرية لمواجهة (حنبل) المنتظر للمعركة، التي جند لها الرومان 100 ألف جندي، ولم يسبق لروما أن جندت هذا العدد من قبل، وتجمّعت قواتها بسهل (كاناي) على طول ثلاث كيلومترات، في المقابل لم تتجاوز قوات (حنبل) 40 ألف رجل، وظنّ الرومان أن الغلبة ستكون لصالحهم، ومجلس شيوخهم كان متأكدا من الانتصار، ومع مطلع الفجر بدأت تسمع أصوات أبواق الحرب، وتنقل القائد (حنبل) مع قاداته لمعاينه ميدان المعركة¹⁵.

بداية المعركة:

أصبحت جيوش الطرفين متقابلة، وضع الرومان خيالهم من جهة اليسار تحت قيادة (بول إميل Paul Emile)، في حين تمركزت في الوسط كتلة المشاة تحت

(حنبعل - Hannabal) ومعركة (كاناي-Cannae)

02 أوت 216 ق.م

قيادة (مينوسيوس وسيرفيليوس)، وتواجدت من جهة اليمين فرقة الخيالة الرومانية بقيادة القنصل (فارون).

في حين تكوّن التشكيل العسكري الذي يقوده (حنبعل) من فرق الخيالة الذين تمركزوا في يسار التشكيل العسكري القرطاجي تحت قيادة (هصدر بعل)، بينما وسط خط المواجهة فلم يضم سوى 22 ألف جندي مكوّن غالبية من الإسبان، والسلتين (Celte) تحت قيادة (حنبعل) وأخوه (ماغون)، وتمركزت فرقة خيالة ثانية من جهة اليمين بقيادة (حنون)¹⁶.

إنّ خطة (حنبعل) تتمثّل في جعل جيشه الأمامي المكوّن خاصة من المشاة في شكل قوس محدّب في اتجاه الرومان، لكي يوهّمهم بضعف خطّه الأمامي، وبالتالي يجعل الرومان يركزون هجوماتهم عليه، وعند ضغطهم على هذه النقطة يبدأ التشكيل القرطاجي في التراجع، ويصبح هذا القوس مع مرور الوقت مقعراً، ثمّ تبدأ فرق الخيالة القرطاجية من الجهتين في محاصرة الجيش الرومان الذي أصبح مطوّقاً داخل حلقة¹⁷.

نتائج المعركة:

دامت المعركة قرابة تسع ساعات، فقدت روما خلالها ثلاثة قناصل، وثمانون من أعضاء مجلس شيوخها، وثلاثون ضابطاً، وستون ألف جندي، وأسر عشرة آلاف رجل، في حين لم يفقد (حنبعل) سوى ستة آلاف رجل¹⁸، كما بيّنت المعركة الدهاء التكتيكي الذي امتاز به (حنبعل)، وعرفت لدى المختصين باسم معركة التطويق، واعتبرت هذه الهزيمة بمثابة الكارثة، والنهاية لروما. ويستخلص من المعارك التي خاضها (حنبعل) بالأراضي الإيطالية، أنّه قد اعتمد على الدهاء، والمباغته، في الوقت، والمكان الذي أراده. وتبقى هذه المعركة درساً لقنه (حنبعل) لأكبر قوة عسكرية في التاريخ القديم.

الهوامش:

1- باستثناء بعض الأقسام من كتاب الفلاحة لماغون القرطاجي، التي وردت إلينا مترجمة باليونانية، واللاتينية.

2- Xavier Lapray, Xavier Lapray, Récit et Mémoire d'une catastrophe, L'exemple de la bataille de Cannes, Publications de la Sorbonne, Hypothèses, 1, 2000, pp(21-30), p23

3- Plin L'Ancien, Histoire Naturelle, XV, 15, 20.76, éd, J. Désanges, éd, Les Belles-Lettres 1980 (quod non Trebia aut Trasimenus, non Cannae busto Romani nominis perficere potuere)

4- Ciceron, Brutus, III, 11.47, trad, François Richard, éd, Garnier, Paris, 1934. (Cannensem illam calamitatem)

5- Xavier Lapray, op.cit, p23

6- Silius Italicus, X, 267, Collection des auteurs latins publiés sous la direction de M. NISARD, Paris, Didot, 1855.

([cruentus](#) Hannibal)

7- Tite live, Histoire Romaine, XXII, 53.4, éd, Eugène Lassere, éd, Garnier frères, 1949

8- S.Lancel, Hannabal, éd, Cérés, Tunis, 1999, p174

9- Polybe, Histoires, III, 8, Bibliothèques de la Pléiade, trad, Denis Roussel, éd, Gallimard, Paris, 1970

10- Tite Live, Histoires Romaine, XXII, 4, éd, Paris, les belles lettres, 1949

11- S.Lancel, op.cit, p174

12 نبيل قلالة، المتوسط الغربي: رهان الصّراع القرطاجي الروماني (241-146 ق.م)،

تونس عبر التاريخ، العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية

والإجتماعية، تونس، 2007، (صص 119-140)، ص128

13- S.Lancel, op.cit, p175

14- Polybe, Histoire, 12, III, 106-108, éd, Gallimard, Paris, 1970; Tite Live, XXII, 34-61

15- Alexandre Grandazzi, Bataille de Cannes, Historia, n° 723, Mars 2007, p22

16- Ibid, pp22,23

(حنبعل - Hannabal) ومعركة (كاناي - Cannae)

02 أوت 216 ق.م

17- ينظر المخطط المرفق

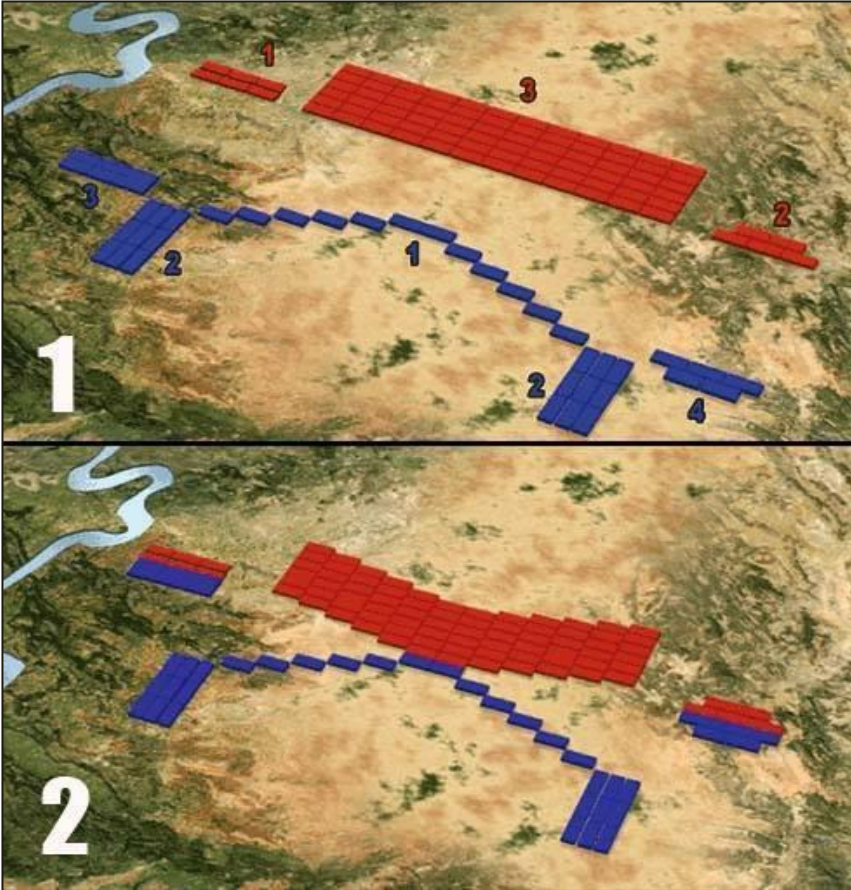
18- Ibid, pp22-23

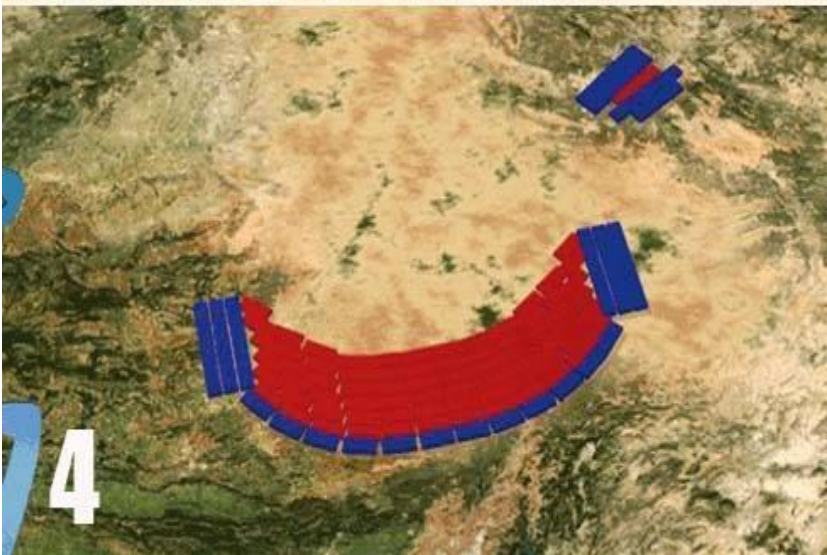
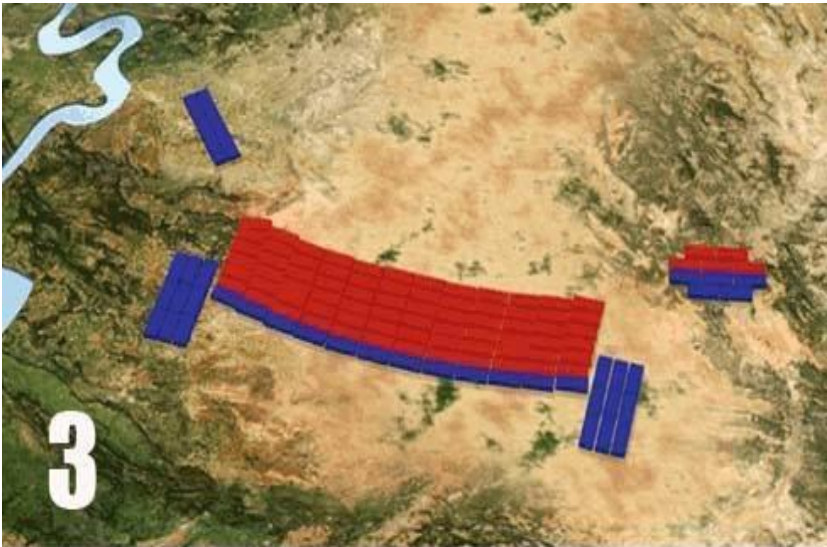
الملاحق:

مخطط معركة (كاناي) ومراحل تطويق الجيش الروماني

جيش القرطاجي

جيش الروماني





(حنبعل - Hannabal) ومعركة (كاناي- Cannae)

02 أوت 216 ق.م

